فقال الى قدر د الله رحلتك فضل فقال ان يميني يمين مصر فانظر الى هولا
كيف افضى بهم العجب الى الحمق صاروا بذلك نكالا في الاولين ومثلا في الآخرين
ولو تصور المعجب والمتكبر ما فطر عليه من حيلة وبلي به من مهنة لخفض جناح
نفسه واستبدل لينا من غيته وسكونا من تهوره وقال الاحنف بن قيس عجبت
لمن جرى مجرى البول مرتين كيف يتكبر وقد وصف بعض الشعرا فقال

يا مظهر الكبر اعجابا بصورته ... انظر خلاك فان الطين تثريب
لو فكر الناس فيما في بطونهم ... ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
هل في ابن آدم مثل الراس مكرمة ... وهو بخمس من الاقذار مضروب
انف يسيل واذن ريحها سهك ... والعين مرمصة والثغر ملعوب
يا ابن التراب وماكول التراب غدا ... اقصر فانك ماكول ومشروب

واحق من كان للكبر مجانبا والاعجاب مبائنا من جل في الدنيا قدره وعظم
فيها خطره حتى انه قد يستقل بعالي همته كل كثير ويستصغر معها كل كبير وقال محمد
بن علي الباقر لا ينبغي للشريف ان يرى شيا النفسه خطرا فيكون به تائها وقال
ابن السماك لعيسى بن موسى تواضعك في شرفك اشرف لك من شرفك وكان يقال اسمان
متضادان لمعنى واحد التواضع والشرف وللكبر اسباب فمن اقوى اسبابه علو
اليد ونفوذ الامر وقلة مخالطة الاكفا حكي ان قوما مشوا خلف علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه فقال ابعدوا عني خفق نعالكم فانها مفسدة لقلوب نوكى الرجال
ومشوا خلف بن مسعود فقال ارجعوا فانها ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وروي
قيس بن حازم ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذته الرعدة فقال النبي صلى
الله عليه وسلم هون عليك فانما انا ابن امراة كانت تاكل القديد وانما قال ذلك
حسما لمواد الكبر وقطعا لذرايع الاعجاب وكسرا لاشر النفس وتذليلا لسطوة الاستعلا
ومثل ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نادى الصلاة جامعة
فلما اجتمع الناس صعد المنبر وحمد الله تعالى واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله

التوكي

عليه

عليه وسلم ثم قال ايها الناس لقد رايتني ارعى على خالات لي من بني مخزوم
فيقبض لي القبضة من التمر والزبيب فاظل يومي واي يوم فقال له عبد
الرحمن بن عوف والله يا امير المومنين ما زدت على ان قصرت بنفسك فقال له
عمر ويحك يا ابن عوف اني خلوت بنفسي فحدثتني فقالت انت امير المومنين
فمن ذا افضل منك فاردت ان اعرفها نفسها وللاعجاب اسباب فمن اقوى
اسبابه كثرة مدح المتقربين واطرا المتملقين الذين قد جعلوا النفاق عادة
وتكسبا والتملق خديعة وتلعبا فاذا وجدوه مقبولا في العقول الضعيفة
اغروا اربابها باعتقادهم وكذبهم وجعلوا ذلك ذريعة الى الاستهزاء بهم وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يزكي رجلا فقال قطعت ظهره
لو سمعها ما افلح بعدها وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه المدح ذبح وقال
ابن المقفع قابل المدح كمادح نفسه وقال بعض الحكما من رضي ان يمدح بما ليس
فيه فقد امكن الساخر منه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والتمادح
فانه الذبح ان كان احدكم مادحا اخاه لا محالة فليقل احسب ولا ازكي على الله احدا
وقيل في ما انزل الله تعالى من الكتب السالفة عجبت لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف
يفرح وعجبت لمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب وقال الشاعر

يا جاهلا غره افراط مادحه ... لا يغلبن جهل من اطراك علمك بك
اثنى وقال بلا علم احاط به ... وانت اعلم بالمحصول من ريبتك

وهذا امر ينبغي للعاقل ان يضبط نفسه من ان يستفزها ويمنعها من تصديق
المدح لها فان للنفس ميلا الى حب الثنا وسماع المدح وقال بعض الشعرا في معنى ذلك

يهوى الثنا مبرز ومقصر ... حب الثنا طبيعة الانسان

فاذا سامح نفسه في هذه الصورة وتابعها على هذه الشهوة تشاغل بها عن الفضائل
الممدوحة ولها عن المحاسن الممنوحة فصار الظاهر من مدحه كذبا والباطن
من ذمه صدقا وعند تقابلهما يكون الصدق الزم الامرين وهذه خدعة لا يرتضيها

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)